

## العناصر اللازمة لنجاح جامعة ناشئة

ملخص المحاضرة التي ألقاها جناب الدكتور س . برودسكي

الاستاذ بجامعة ليدز بإنجلترا في الاجتماع الذي أعده نقابة المعلمين

بمدرسة المعلمين العليا يوم الثلاثاء ١٤ أبريل سنة ١٩٢٥

أيها السادة ،

دعاني تلاميذي من بينكم لأن أتحدث لكم عن الجامعات الناشئة . وقد تقبلت دعوتهم بارتياح لا لأن الموضوع من الموضوعات التي ازمع اني حجة فيها بحيث استطيع التكلم عنه بلهجة الجزم واليقين ولكن لأن لي به خبرة عملية واسعة . لقد ارتبطت بعالم الجامعات ارتباطاً وثيقاً في كبردج التي كانت مهد دراستي الاولى وفي لندره التي نلت منها درجة كطالبي خارجي فعرفت بذلك كثيراً من انظمتها وخصائصها وفي جامعة ليزج التي نلت منها درجة الدكتوراه . ثم كنت محاضراً واستاذاً في جامعتي برستول وليدز . وفي جامعة ادنبرا التي توليت فيها تدريس الرياضة بضعة شهور مدة مرض استاذها وأخيراً كنت من المهتمين بالجامعة العبرية العاملين على ايجادها . فانتم ترون من هذا كله اني قد اتيج لي تعرف شؤون الجامعات في ظروف متعددة

ومن محاسن الاتفاق أن تبدأ جامعة القاهرة وجامعة اورشليم الظهور في عالم الوجود في وقت واخذ . فاما جامعة اورشليم فتبدأت بعض كلياتها العمل فعلاً والهمة مبدولة في ايجاد كليات اخرى بها وأما

جامعة القاهرة فتوشك أن تفتح أبوابها وتبدأ عملها . ويحق لنا ان نتطلع ونحن مملوون بالامل الكبير الى المستقبل الذي تصبح فيه هاتان الجامعاتان مركز الحياة العلمية في الشرق الادنى

وأود أن اشير من البداية الى أنني لست أقصد التكلم في امور سياسية فلست ممن يهتمون اهتماما خاصا بسياسة القاهرة - على الاقل هذه الليلة - وعدا هذا فأني في هذه الامور احتفظ دائما بأرائي على اني اجدني مضطرا الى التكلم في أمور قد تبدو سياسية وان لم تكن كذلك الا في ظاهرها فقط . اني ممن يقولون بضرورة ابعاد كل ماله مساس بالسياسة عن جو الجامعات

ولما كانت الظروف السائدة في بلادكم لا تختلف فيما أرى اختلافا كبيرا عن ظروف فلسطين فستجدوني أشير كثيراً الى جامعة أورشلين عند التمثيل والابضاح

أول ما يقال عن الجامعة الحديثة تحديد وظيفتها والفرص الذي براد منها . ولقد كان اول ما فكرنا فيه بعد أن وضعنا قدمنا في فلسطين أن نبدأ بها جامعة . لم هذا؟ لأننا نعتبر الجامعة ركنا اساسيا في بناء الحياة القومية فايست الجامعة ترقا تسمى له الامم مباهاة ومجارية لغيرها وانما هي ضرورة تصوي لاغنى عنها

يجب ألا ننظر للجامعة بالعين التي براها الرجل العملي . الرجل العملي يستفيد حادة من أعمال غيره ومجهوداته ، ولكنه هو قل أن يأتي بجديد . هو يرى ما نحت انفه من الاشياء ، ولكنه يخفق في رؤية الامور البعيدة . وايجاد جامعة ليش مما يقع في مدى بصر الرجال العمليين

أنه يشبه أن يكون حاملاً لا يدرك طبيعته إلا رجال النظر والخيال البعيد .  
هؤلاء الرجال الخياليون هم الذين يحتاج اليهم في إيجاد الجامعة . هؤلاء  
الخياليون الذين يتخطى بصبرهم ما حوّلهم من الأشياء ويمتد نحو غايات  
سامية بعيدة يحاولون تحقيقها

وقبل أن نخطو خطوة أخرى في الموضوع يحسن بنا أن نتساءل :  
ما الوظيفة التي يراد من جامعة القاهرة أداؤها ؛ وليس هذا بالسؤال  
الذي تسهل الاجابة عليه فإنه سيضعنا وجها لوجه امام الرجل العملي الذي  
لا يرى الجامعة الا آلة تدار فتخرج أ كثر عدد ممكن من الطلاب ،  
ويقصر فيه عند تصور فكرة الجامعة منفصلة عن الطلبة . وهنا أعود بكم  
الى جامعة فلسطين فقد كانت أمامنا فيها مثل هذه الحال . كان أكبر  
الاعتراضات التي اقيمت في وجه مشروع الجامعة انها لن تجد كفايتها  
من الطلبة وكيف يمكن أن تقدم الجامعة بلا طلبة ؟ هؤلاء الرجال  
العمليون الذين أثاروا الاعتراض برون الجامعة مهبطاً لتفريغ شبان  
يحملون الدبلومات سيقاسمون فيما بينهم مناصب الحكم . وظاهر أن هذا  
فهم غير صحيح لمهمة الجامعة . يجب أن نخلق الجامعة أولاً وترتب شؤونها  
ويحمل لها مكانة رفيعة ، والطلاب بعد هذا آتون اليها بلا نزاع . وزيادة  
في الايضاح نقول ان هناك مهمتين اساسيتين للجامعة الاولى تربية الطلبة  
في شعب العلم المختلفة . والثانية وليست دون الاولى ان لم تكن ترجحها  
ترقية العلم والعمل على زيادة الثروة العقلية الانسانية

تسمى الجامعة لترقية العلم أولاً ثم يأتي الطلبة بعد ذلك . يجب أن  
تكون الجامعة مركزاً علمياً بحوي طائفة من ذوي القدرة الفائقة يواصلون

المباحث العلمية ويخلقون حياة عقلية جديدة

لقد أتى زمن كانت الجامعات تؤسس فيه لأغراض عملية. إن جامعة  
ليدز نفسها انشئت لأسباب اقتصادية محلية. ولكن هذا كان فاسداً في  
أساسه وقد أدرك الناس خطأً في هذا وأصبح الرأي المسلم به الآن  
ولاسيما بعد الحرب الكبرى أن الغرض الأساسي من الجامعات هو تنمية  
العلوم والمعارف وترقية المثل العليا الدراسية لذات العلم

ومن الضروري لنجاح الجامعات أن تنشأ كلياتها المختلفة أولاً  
فيشتغل في كل منها رجال من كبار العلماء في البحث في الميادين الخاصة  
بهم فإذا اتفق بعد هذا أن أتى طلبه فليس بمعجزهم أن يوفروا من وقتهم  
ساعة أو أكثر في اليوم لمحاضرتهم وتعليمهم

فأنتم ترون إن الأمر ليس تعيين محاضرين بل إيجاد رجال بحث  
يتخذون الجامعة مركزاً لمباحثهم

إن هناك خطراً عظيماً يهدد الجامعات الناشئة كجامعة القاهرة  
وأورشليم حيث المستوى الفكري لا يزال دون ما ينبغي من السمو  
وهو أن بحسب الناس الجامعات تلك المدارس الثانوية المفخمة التي  
تدعى بالمدارس العالية والتي تعد مدرسين ومهندسين ومن إلى هؤلاء.  
وهذا لعمري خطأ كبير ولقد وقع الهنود في نفس الخطأ ولذلك يقتضى  
الأمر الحيلة والانتباه. يجب أن يفهم جلياً أن البحث هو غاية الغايات  
في الجامعة

ولست أدري أى قول يكفي لبيان ما أريد توحيده وتثبيتته وهو أن  
الجامعة يجب أن تقوم على رجال من ذوى الرؤوس الكبيرة والمتقدة

العلمية العامة . دعوني أرو لكم قصة سمعتها من صديق لي وهو استاذ  
رياضة :

جاءه رجل يوماً واتفق معه على ان يعطيه درسا خاصا مقابل ٥  
شئونات في الساعة وقد لاحظ أنه في كل مرة يأتيه بعدد معين من المسائل  
يسأله حلها فدهش الاستاذ لتكرار ذلك وأراد ان يدرك كنه الأمر  
فسأل تلميذه عنه وهذا صدقه الحديث وهو انه هو يعطى درسا خاصا  
مقابل ١٠ شئونات في الساعة ولما كان لا يستطيع حل تلك المسائل استعان  
به على حلها وكان له فرق الاجرين

ومفزي الحكاية ان الانسان لا يستطيع ان يكون مدرسا للرياضة  
بأن يسبق تلاميذه بدرس واحد ولكن مثل هذا الرجل لا يمكن بحال  
ان يكون استادا للرياضة . نحن نريد رجلا يكون حجة في الرياضة ويستطيع  
ان يتكلم عن ثقة وسمة علم في فرع من فروعها على الأقل

هناك خطر آخر يتعلق بانتخاب الاساندة . لقد يكون الرجل من  
اعلام الرياضة ولكنه ليس وطنيا فهل تعين مثل هذا استادا للرياضة او  
تؤثر عليه رجلا متوسط المقدرة فيها ولكنه شديد الغيرة الوطنية .  
والجواب عينوا الرياضى النافع فالجامعة اوجدت لتقدم العلوم الرياضية  
لا المبادئ الوطنية

ان من الامور الجسيمة الخطر ان تكون ثمة صلة بين اختيار رجل  
لعمل ما وبين آرائه السياسية او جنسية

ومن دواعي الاسف الشديد انه قد وقع في هذا الخطأ كثير من  
الامم . خذوا مثلا ايرلندا ، احتاجت احدى جامعاتها لاستاذ للرياضة فتقدم

لها ثلاثة أحدهم قسيس كاثوليكي والآخر يتبع كنيسة يوركشير  
الانجليزية والثالث يتبع الكنيسة الاسكوتلاندية . فعين الاول لمذهبه  
الديني دون نظر للمزايا العلمية . وهذان الآخران رُفِضا يشغلان  
الآن مركزين مساميين . وأحدهما عضو في الجمعية الملوكية والثاني  
أستاذ للرياضة بجامعة ليدز اما الذي عين ففكرة من النكرات لا يسمع  
باسمه في عالم الرياضة . وهذا يدل على أن شؤون الجامعة تفسد اذا روعي  
فيها اعتبارات غير الاعتبارات العلمية الخاصة .

وبهذه المناسبة يجب أن أصارحكم أنني كنت شديد الارتياح لما علمته  
من أن الحكومة المصرية اعترفت أن تكل رياسة الكليات لاجانب لا  
لأنى أمجاز لهؤلاء واجهد حق المصريين في تولى شئونهم . ولكن للمبدأ  
الشريف والفكرة البعيدة التي بنى عليها هذا القرار نخبركم بأمر  
الجامعات محدودة ولا تزالون مفتقرين الى عضد الاجانب في هذا الباب  
ويكون فساداً في الرأى أن تعينوا المصريين لاشيء سوى أنهم  
مصريون

انكم حين تبدءون بأساندة أوريين من الطبقة الاولى من العلماء  
تستطيعون في عشر سنوات أن تجدوا نتاجا موريا يغنى عنهم ويسد  
مسدع .

أما اذا بدأتم بمصريين من الطبقة الثانية هبطتم بمستوى الجامعة ولم  
تجدوا لها من نتاج

وهنا يسوقنى الحديث للكلام عن انتقاليدو فعلها العجيب في الجامعات  
هناك جامعات تمتد أصلها بعيداً في حجب الماضى كجامعتي كسفورد

وكبر دج . هذه الجامعات امتازت بتقاليد اجيال طوال وهذه التقاليد التاريخية كان لها شأن عظيم في تقدمها وكان لها الفضل في شهرتها التي ملأت الآفاق . أي انجليزي يسمع ذكر اكسفورد وكبر دج دون أن يشعر بالاجلال والا كبار والفضار

لما التحقت بكبر دج دلني بعضهم على طريق حجري كان السير اسحاق نيوتن معتاداً السير فيه فاحسست بدافع داخلي يدفعني أن أكثر السير في هذا الطريق . وكنت أمثل كثيراً هذا النابغة العظيم بحل مسائل السكون فيخفق قلبى الصنبر وتغمرة قدسيه تملؤه خشوعاً واجلالاً

وانما كانت شهرة جامعة لينزج لانها كان منها الاستاذ برنز الفيلسوف الذائع الصيت . وهذه الشهرة هي التي جذبت الكثيرين اليها من اطراف السكون ليتصلوا بهذا العقل الممتاز ويستمدوا من قربه الألهام العلمي ، بل لعل هذا أقوى ما حملني على الالتحاق بها

فاذا أردنا الموازنة بين جامعة حديثة وجامعة قامت من ألف سنة كان معنى هذا أن نوازن بين جامعة لبثت تبنى لها تاريخاً وتقاليد عشرة اجيال وجامعة ايس لها من تراث قديم

وايس لجامعتكم البادئة من تراث تاريخي نعم انكم كنتم في الماضي البعيد اساتذة العالم وكانت لكم نهضة علمية عظيمة ولكن حلقة الانصال بينكم وبين هذا الماضي قد انقطعت وطمت آثار الماضي الجليله وواجبكم الساعة أن تفكروا كيف تبنون لكم تقاليد وبأى مقياس تقيسون عظمة الجامعة

هل ترون عظمتها في احجارها وابهاؤها وأعمدتها واتساع أروقتها  
وشفاعة ماشيها؟ كلا ان عظمة الجامعة تقوم على عظمة مدرسيها وسمة  
مداركهم الفكرية .

وفي هذا المقام احذركم أشد تحذير أن تتورطوا في جمع المال لاقامة  
مبان فخمة قبل احضار اسانذتها

من المدهش حقا ان يغفل الناس عن هذه النقطة العظيمة الالهية .  
انا نقرأ في الصحف عن بعض المتبرعين الذين يهبون الجامعات مبالغ  
عظيمة لاقامة مبانيها وينصون على ألا يصرف منها للاسانذة شيء  
مثل هذا الامر يكثر وقوعه . ولقد حدث من مدة أن احدي  
الجامعات أقامت بناء فضا لمكتبتها ولم تدخر وسعها في تجميلها . ولكنهم  
نسوا أن يزودوها بالكتب القيمة . فكان أولو الامر فيها يباهون بها  
ويفاخرون بجعلها فزارها استاذ الماني ومر معهم بجوانبها وقال لهم حسن  
انها حقا مكتبة جميلة ولكن أين الكتب ؟

والمسألة التي تعترض الباحث هي كيف تقيم مملكة صغيرة محدودة  
الموارد كعصر جامعة؟ والجواب على هذا تجدونه في حال جامعة ليدز فانها  
لما بدأت منذ ٥٠ سنة لم يكن لديها كفايتها من المال فلم تقم بناء  
عني أصحاب الشأن فيها أولا بإيجاد أسانذة من ذوي المقدره الممتازه  
أما التدريس فكان في كثير من الاوقات يجري في أكواخ ، واني  
شخصيا كان يتفق لي كثيرا أن احاضر والمطر يتساقط فوق رأسي من  
سقف غرفة الرياضة

ان الاستاذ براج من مشهورى العلماء في العالم قد أجرى اكثر

مباحته في كوخ خشبي في الجامعة نفسها  
ولكن نعالوا الآن وانظروا جامعه ليدز وكلياتها المتمددة ومبانيها  
الفخمة لتروا كيف يمكن ايجاد جامعة عظيمة من أكواخ متي وفق ذوو  
الرأى فيها الى السداد في خطواتهم الاولى

بعد هذا القدر أقول ان المتاعب الحقيقية في الجامعة تبدأ حين  
يبدأ فيها الطلبة . ان الطلبة يظنون دائما خطأ أن الجامعات كونت لمنفهمم  
الخاصة وقد بينت أولاً أن أهم اغراضها ترقية العلم  
ولا بد من ذكر بعض اعتبارات فيما يختص بالطلبة . يجب الاتقوم  
حياة الجامعات على قرادة الكتب المدرسية واطماع المحاضرات بل يجب  
أن ترمي لغاية اسمى . الجامعة كما يدل اسمها تتضمن التعميم لا من حيث  
نشر العلم للجميع بلا مراعاة لاختلاف الاجناس والمذاهب بل من حيث  
تعميم المحبة والشعور بالخير بين طلابها

ان أبناء الجامعة الواحدة مهما تباينت أجناسهم يجب أن يشعروا  
أنهم أجزاء متضامنة من كل واحد هو جامعتهم التي تسمى لانبل للغايات  
فيجب أن يفرسوا روح الوحدة بينهم ويمتنقوا مبدأ التسامح  
الديني والجنسي

وهذا هو الواقع في أكثر الجامعات الانجليزية في الوقت الحاضر .  
ففي جامعه ليدز أستطيع ان أقول لكم عن يقين وجزم انه ليس هناك  
أى تفرقة أو تمييز بين مصري وانجائزي وهندي

وفي كثير من الاحيان كان الطلبة المصريون يشتركون اشتركا  
فعليا في الحياة الاجتماعية وأخذون منها بنصيب يكادون ينسون معه

أنهم مصريون . وليس معنى هذا أنهم نسوا بلادهم وأصبحوا أقل وطنية .  
وغيره من المصريين الذين لم يذهبوا الى جامعة ليدز فانكم اذا رأيتموهم  
وهم يتناقشون في الشؤون السياسية لبلادهم رأيتم الوطنية الصادقة  
والحمية والفيرة

واني في الختام اقول لكم ان المصري الذي يذهب الى بلاد أجنبية  
لتلقى العلم يجد نفسه مضطراً للسير في طريق جديد من طرق الحياة  
والاصطباغ بضيفة أهله والاخذ بأساليبهم في التفكير ويكتسب خبرة  
يتسع بها مجال فكره

وان مصر ستصبح بعد خمسين عاماً بلادا عظيمة وسيكون السبب  
في عظمتها أولئك الرجال الذين تلقوا العلم في البلاد الاخرى واصلحوا الى  
ذخرم الوطني ذخائر مما اكتسبوا من تلك البلاد

